

”موكب القدر“.. طقوس العثمانيين في ليلة القدر

كتبه سمية الكومي | 5 مايو, 2021



احتل شهر رمضان مكانةً كبيرةً عند سلاطين الدولة العثمانية، وكانوا يشرفون بأنفسهم على جميع التجهيزات الخاصة باستقباله، فيمشي السلطان متخفياً في الأسواق لراقبة جودة السلع والأسعار، ويكتب بنفسه وثيقة التنبيهات، وهي التعليمات التي يجب أن يسير عليها الشعب خلال هذا الشهر.

كما حافظوا على زيارة غرفة الأمانات المقدسة بقصر طوب قابي التي تحوي بعض مقتنيات النبي محمد، مرتين في رمضان: الأولى في اليوم الثاني عشر من الشهر، والثانية في ليلة السابع والعشرين التي يعتقد أنها ليلة القدر، وكانت تغسل الغرفة بماء الورد وبعد ذلك يشعل العود والعنبر، ثم يأتي السلطان ويضع يده على قميص النبي أو ما يعرف بـ ”خرقة السعادة“ بعد إخراجه من صندوقه الفضي.

إلى جانب هذا الطقس كانت هناك مراسم أخرى خاصة بليلة القدر يشارك فيها الجميع وعلى رأسهم السلطان نفسه، سواء تلك التي كانت تقام في الشوارع والمساجد أم في القصر.

موكب القدر

سيئاً على خطى السلطان محمد الفاتح الذي اعتاد أن يصلى التراويح بمسجد آيا صوفيا في ليلة القدر، واظب السلاطين العثمانيون من بعده على نفس العادة، وكان يتسابق الناس ليلتها لأداء التراويح هناك، لا كان يعتقد آنذاك أن الدعاء في آيا صوفيا ليلة القدر مستجاباً.

قبل الذهاب بالموكب إلى الصلاة كان يكلف السلطان العاملين بالقصر بتجهيز مائدة إفطار من أجل المدعويين، ومائدات بالخارج للفقراء والمحاجين

كان يتجه السلطان العثماني من قصر طوب قابي إلى مسجد آيا صوفيا، في موكب مهيب يسمى "موكب القدر"، ولو صادف رمضان أحد شهور الصيف حيث يقيم السلطان وأركان الدولة في القصور الساحلية يجب أن يذهبوا للإفطار في بيت الأجداد بطور قابي أولاً، ثم الخروج من هناك بالموكب للذهاب لأداء التراويح بآيا صوفيا.

واستمرت تلك العادة حتى بعد انتقال مقر قصر السلطان إلى دولا بهتشة الواقع على ساحل بشيكناش، لكن بعض السلاطين في نهايات الدولة العثمانية كانوا يفضلون الذهاب من قصورهم إلى المساجد التي بنوها مثل مسجد حميديه يلدز، وبناءً عليه كان يتغير سير الموكب.

قبل تلك الليلة، يتم ترميم جميع الشوارع الموجودة بخط سير الموكب الذي يبدأ من "باب السعادة" - أحد أبواب قصر طوب قابي - وينتهي بمسجد آيا صوفيا، وطلاء الأبنية التي تطل على الطريق وتزيينها وإضاءتها بالقناديل والمشاعل، وكان يتم تخصيص أماكن للجلوس من أجل أن يشاهد الأهالي الموكب بأريحية، كما كانت هناك مساحة مخصصة لقاعد الدبلوماسيين والسفراء الذين كانوا يدعون أيضاً إلى مشاهدة الصلاة من الطابق الأعلى لآيا صوفيا.

يحتشد الشعب في زحام شديد لرؤية السلطان وتفرق الحلوي وسط هتفات وتصفيق مصحوبة بأصوات الطلقـات والمفرقعـات الخاصة بالاحتفـال، وكان يشارك كل رجال الدولة وجـمـوعـ الشعبـ في هذا الموكـبـ، حـقـ إنـ السـلطـانـاتـ وـالـسـيـدـاتـ فيـ الحـرـملـكـ كـنـ يـخـرـجـنـ فيـ هـذـاـ الـيـوـمـ منـ القـصـرـ ويـشارـكـنـ فيـ مشـاهـدـةـ المـوكـبـ فيـ المـقـاعـدـ المـخـصـصـةـ لـهـنـ، ثـمـ يـنـتـظـرـنـ فيـ عـرـبـاتـهنـ حـقـ اـنـتـهـاءـ التـراـويـحـ الـيـ كـانـتـ يـقـرـأـ القرآنـ بـكـلـ رـكـعـةـ بـهـاـ عـلـىـ مقـامـ مـخـتـلـفـ اـحـتـفالـاـ بـلـيـلـةـ الـقـدـرـ، وـبـعـدـهـ يـتـجـولـنـ بـالـعـرـبـاتـ الـيـ تـجـرـهـاـ الـأـحـصـنـةـ فـيـ أـنـحـاءـ الـمـدـنـةـ لـمـشـاهـدـةـ الـاحـتـفالـاتـ.

تحت عنوان "موكب ليلة القدر الجليلة"، كتبت جريدة إقدام في 24 من ديسمبر/كانون الأول 1905: "ذهب السلطان عبد الحميد الثاني وبجانبه رضا باشا رئيس الجيش، إلى جامع حميديه يلدز، وكانت السفن الموجودة على ساحل قصر بشيكناش مضاءة بالقناديل، وأغدق على الفقراء بالصدقات من قبل خزينة الدولة وأقيمت لهم موائد إفطار بطول الطريق بدايةً من مسجد

سنان باشا ببشيكتاش وحق قصر يلدز، وأمر السلطان بتوزيع الحلوي والشاي والسجائر على العساكر، بمناسبة ليلة القدر.

ويحكي الكاتب والشاعر الإيطالي الذي عاش في إسطنبول أدمونو دي أميجيس (1846-1908) عن موكب ليلة القدر في مذكراته، قائلاً: “كانت هذه هي الليلة الوحيدة التي يخرج بها السلطان عبد الحميد للصلوة خارج القصر، وكان يقام موكب كبير من أجل ذلك، لقد حضرت مراسم آخر ليلة قدر له.

كان الطريق من قصر يلدز وحق جامع حمیدية مضاءً بالشاعل، وأضيء الجامع بأكمله بقناديل زيتية صغيرة، وزين بالنقوش العربية والزخارف العمارية، كانت تلك الأضواء المتناثرة في ظلام المدينة والبليناء تشكل منظراً رائعاً وكأنه أسطورة خيالية، كانت تلمع منارات السفن بضوء ذهبي خافت وفي تلك الأثناء جاء صوت الجوقة العسكرية، ورماهم تتوهج تحت هذه الأضواء، وأتى صوت المؤذن من المسجد، تلاه عزف الجوقة الموسيقية لنشيد السلطان، حق ظهرت عربة السلطانات يجرها حصاني مزينة بالمشاعل البيضاء تموج وسط الزحام، ثم حضر السلطان عبد الحميد في عربة تزيينها الأضواء الذهبية والحرير واضعاً على كتفه البالطو العسكري، واستقبله الناس بهتافات طافت الآفاق، يعيش السلطان، وأطلقت في تحيته المدافع أثناء الصلاة، ومن حين لآخر كان يأتي صوت عذب ينشد الإلهيات - أناشيد الشعائر الدينية -، وبعد ساعة ظهر عبد الحميد مرة ثانية، وهنا هتف الناس مرة أخرى: يعيش السلطان”.

بعد الانتهاء من موكب العودة من صلاة التراويح، تُشرب القهوة في القصر وبعد أن يأمر السلطان، يبدأ شيخ الإسلام وإمام مسجد السلطان بقراءة بعض من القرآن

“مراسم القصر و”يومورتا همايون”

قبل الذهاب بالموكب إلى الصلاة كان يكلف السلطان العاملين بالقصر بتجهيز مائدة إفطار من أجل المدعين، وموائد بالخارج للقراء والمحاجين، أما السلطان فكان يأكل البيض المحضر له خصيصاً من أجل هذا اليوم، وكان يسمى هذا الطقس “يومورتا همايون” أي أكلة البيض السلطانية، وقد بدأ هذا الطقس مع محمد الفاتح وظل حتى نهاية الدولة العثمانية.

وبحسب المصادر فإن هذا البيض كان يعد بشكل خاص ليغطى به السلطان في ليلة القدر، حيث يوضع البصل في زيت الزيتون الحلي ثم توضع البسطرمة وقليل من الماء والخل والسكر ثم يوضع البيض ويترك على النار حتى ينضج.

بعد الانتهاء من طعام البيض، تجهز مائدة السلطان وكانت عادة ما تتكون من الكباب والديك

الرومي والأزر، ثم تأتي حلوي الألاظية أو المهلبية وفي النهاية تأتي البابمية ثم البقلاء.

أما بعد الانتهاء من موكب العودة من صلاة التراویح، تُشرب القهوة في القصر وبعد أن يأمر السلطان، يبدأ شيخ الإسلام وإمام مسجد السلطان بقراءة بعض من القرآن، ثم تُقرأ "وسيلة النجاة" التي تعرف بالمولد الشريف، وهي منظومة شعرية تتكون من تسعة أقسام و932 بيتاً كتبها الإمام والشاعر التركي سليمان شلي عام 1409 تتحدث عن سيرة النبي محمد.

ويستمر إحياء ليلة القدر هكذا حتى مطلع الفجر، ثم في نهاية الليل يزور سكان القصر بدايةً من السلطان وحتى العاملين "الخرقة الشريفة" للتبرك بها، ثم ينتهي الاحتفال ويتم توديع المدعوين بسلامات الحلوي المزينة وماء الورد.

رابط المقال : <https://www.noonpost.com/40568>